انكثار

عمر لوريكي

قصة قصيرة

عمر لوريكي
انكثار

اندِثَارٌ

قصة قصيرة

عمر لوريكي

عمر لوريكي

شاعر وكاتب وإعلامي

facebook.com/omar.laouriki1

⚜ صدر له
- كتاب "حجايات أمي"؛ مجموعة قصصية شعبية. عن دار أوراق بمصر، مارس 2016
- ديوان غرابة؟ عن دار أوراق بمصر. مارس 2016*

⚜ أعد
- الموسوعة الشعرية العربية المعاصرة، ج1 صدرت عن مطبعة الاقتصاد. ماي 2019
- نقوش من وحي الأدب. عن مطبعة الاقتصاد ماي 2019
- حلم وقلم. كتاب قصصي عن دار تيسراس

⚜ حائز على جائزة دار زين، فئة القصة القصيرة سنة 2017
- أجيزت مجموعته القصصية "حجايات أمي" بملتقى الكويت 2017
- تأهلت قصته ضمن كتارا الاستغفار 2020
- مدير الملتقى الأدبي العربي بأيت اعميرة وليلة بهاء الشعر 2019

⚜ له قيد الطبع
- ديوان ماذا أرى في البعد؟
- .كتاب رحلتي إلى إسكندنافيا، الجزء الأول
- نوادر عمر
- تم تكريمه بمملكة السويد من طرف مكتبة لوند المركزية؛ نونبر 2019
- نشر بعدة جرائد عربية ووطنية منذ 2009

تدور أحداث القصة حول ممرضة إيطالية اسمها ماريا تيريزا، تشتغل برفقة صديقتها خديجة هيباتيا المسلمة اليونانية الأصل المتزوجة من رجل مغربي، سنوات عديدة، تحتسيان القهوة معا وتسعفان المرضى معا
حينما اجتاح كوفيد19 إيطاليا لم تتمالك ماريا تيريزا التي تعشق بلاد ليوناردو دافنشي من عمق روحها، نفسها فقررت الانذثار على مقصلة الأسئلة المحيرة، رحيلها بتلك الطريقة أثر بشكل كبير في حياة خديجة هيباتيا التي أحبتها كثيرا، حاولت بكل ما أوتيت من قوة وعزم شديدين احتواء أزمتها النفسية والاستغفار لزميلتها الراحلة
لم تستطع الاستمرار في العمل كممرضة، لأن أي مكان هناك يذكرها بابتسامات وضحكات صديقتها التي على لادينيتها تحترم مشاعر المسلمين ومعتقداتهم بإيطاليا؛ بل تدافع عنهم أحيانا
خديجة هيباتيا عانت طيلة حياتها من العقم، لكن في النهاية سيتحقق حلم زوجها المغربي وهي على حين غرة من اليأس

ISBN
9 78 9920 622509

dépôt légal: 2020MO3251

المطبعة
Agadir Services
الهاتف/الفاكس:0528237036. أكادير

مُوسيقى الماوراء الطّبيعة؛ المُرتشفة مِن أعماقنا شيئا من تكهّناتنا وما لم نستنزفه بعد؛ تلكَ الّتي ولجت مخيالنا البالي قبل سَنهاتٍ من الآن وكتب عنها المفكرون قبلنا، تحاورُ ذواتنا الآن وبشدّة، تجعلها تضغطُ على أرواحنا لتُضْعِفنا معها.

قلوبنا الواهنة تسارع في الخفقان دائما قبل النّوم معزولين ومضمخين بالوحدة، نفَكّر في الموتى الذين لفظتهم أمّنا الأرضُ هذه الأيام. أرجو أن تَعود لنا كما كانت...سنستغفر الله لها أناء الليل وأطراف النهار.

سنرفع أكف الضراعة للعلي القدير ونستغفره بصدقنا وأحلامنا وتوبتنا إليه، إنه لا يخيب من التجأ إليه ولا يتيه من عرف بابه وتمثّل الخير بفعله وتوسم النجاة في معاملاته وأخلاقه وتوده إليه.

اليوْمَ انتحَرتْ "ماريا تيريزا"، الشّابة المُبتَسِمة عَلَى الدّوام؛ ثلاث وثلاثون سنة، في شَرخ شبابها وفوران جمالها...لمْ تصدق "خديجة هيباتيا" صديقتها الممرضة اليونانية، خَبرَ إِقْدَامها عَلَى اخْتِيَار السّفر السّريع غير المجدي دون تأنّ ولا تفكير.

كَيْفَ أمْكَنَهَا إِنْهَاءُ حَياتها بهذا الشّكل المُسْتَشْكِل الغريب والحَزِين وَهِيَ الّتِي امْتَلكَت من الحُسْنِ والتّضحية الكثير؟

تعرفت خديجة هيباتيا على زميلتها في العمل ماريا قبل أربع عشرة سنة بالضبط، لازال وقع اللقاء الأول بها راسخا بقلبها. لم يرحب بها أحد في المستشفى غير ماريا التي كانت مسيحية في بداياتها، الكل نظر لخديجة هيباتيا القادمة من اليونان كأنها شؤم على المستشفى بأسره، يخشون التقرب منها أو مرافقتها في مهامها داخل المستشفى، يظنون أنها لن تنجح أبدا، فقط لأنها ترتدي الحجاب، لكنها أثبتت لهم العكس، فابتسامتها كانت سلاحها الأقوى الذي أشهرته في وجه كل المتجهمين. ماريا تيريزا دعتها لحفلة عشاء بمنزلها، كم سُرّت من عمق خاطرها، لأنها عرفت أن خديجة تتقن الإيطالية كثيرا إلى جانب اللغة العربية أيضا ولغتها الأم اليونانية. من هنا بدأت صداقتهما واستمرت في التماسك حتى فرق بينهما كورونا الضيف المرعب.

رحلت ماريا تيريزا بعدما شربت حقنة سامة بمكتبها حينما علمت أنها حاملة لفيروس كورونا، لم ترغب في الاستمرار في العيش لكيلا تنقل الفيروس للآخرين، المستشفى امتلأ عن آخره بالمصابين ولا وجود لأسرة إنعاش إضافية. اختارت هذا السبيل دون استشارة مع أحد، حتى صديقتها المقربة خديجة. لم تعلم أنها بفعلتها هذه ستجرحها وتضعفها كثيرا.

كَمْ حَسدتها زَميلاتُهَا بالمستشفى على شعرها الحريري وأسفارِها الكثيرة أوقات فَرَاغِهَا، لو كنّ يعشقنها فعلا لما تركنها تقدم على الانتحار في رمشة عين...

اقليمُ "لُومبارديا" المَنْكُوبُ بمعْقِلِ "ليوناردو دافينشي" و"الموناليزا" يشهدُ لهَا بالكَثير...كانت دائما ما تساعد الفقراء والمحتاجين وترحب بالغرباء خاصة العرب المهاجرين منهم الذين يصعب عليهم التأقلم مع الوضع الجديد بديار الغربة. ماريا كانت تقدم ساعات إضافية لتعلم اللغة الإيطالية. ربما فشلها في الحب مع خوان كارلوس بالميري أرخى بظلاله على يأسها أيضا وعلى رقتها الطافحة بالحنان، فليس من المعقول أن يستمر بُعده وإهماله لها حتى زمن كورونا، بينما الناس يستغفرون لبعضهم البعض، ينسون أخطاءهم الماضية ويستشرفون غدا متميزا.

اخْتَارَتْ عكْسَ أغْلَبِ المُمَرّضات أن تكونَ فِي الصّفّ الخَطير مِنْ مُواجهة كُورُونا المُرعِب بِكل مَا تسْتَطِيعُ من قوّة وإرادة.

اخْتَارَتْ أَنْ تَكُون إلى جانِب من تمكّن مِنْهم كُوفيد 19 وألحّ عَلَيْهم بِمُغادرة الأرض سريعا قبل مشرق يوم الغد.

قَلْبُهَا الوَاهِن تحَمّل فوْقَ طَاقَتِهِ؛ فَتَوَقّف لَحَظَات شارِداً عَنِ النّبض.

إنّهُ يَوْمٌ مَلِيءٌ بِالحُزْنِ؛ الأخبارُ والنشرات الإعلامية وتدوينات المغردين وقنوات اليوتيوب لا تحمل إلا الشؤم والبؤس، قُبُورُ مُرّاكش تَحْضنُ اليَوْمَ هي الأُخْرَى مُحَامِيا فِي رَيْعَان شَبَابِه، عَلَى الأَقل تَمَتّع بالدّفْنِ وَفِي مَرَاسِيم شَعبية مُحترمة، أمّا ماريا اليرقة المتحللة بإيطاليا فالوقت لا يكفي ولا يسمح بمراسيم شعبية للدفن.

حُزْن هذا اليوم أَرخى بظلاله على رُوح خديجة هيباتيا، لا تدري ماذَا تتابع؟

لقد فقدت أعزّ صديقة لها على الإطلاق، ورغم ذلك فهي مستمر ة في تقديم ما تتوفر عليه من مَعرفة وتضحية للمرضى بالمستشفى غير عَابئة لتَجهّمات اللاّذعين ممّن لا يرون في التطوّع إلاّ الأخْطَاء والتعثّرات.

زوج خديجة مغربي يتابع عن كثب إعلان المساء لوزارة الصحة، قاضية بالحمراء تقضي هي الأخرى نحبها بسبب كوفيد19، شلل تام بالأزقة والشوارع وقلوب الناس على كف امرأة ضعيفة واحدة، لم تعد أخبار الوفيات المهولة بالغرب تغريه أكثر من بلده الأم؛ يتتبع بدقة أي خبر ومآلاته...يقلق ويفرح لأي تفاؤل...يشده حنين مدهش للبلد الأم. بلغ هو وخديجة الأربعين من عمرهما ولم يرزقا بابنة أو ولد، في كل ليلة توقظه خديجة بصوت هامس حنون لقيام الليل، حتى يتمتعا معا باللحظة السامرة، إنها الاستغفار حينما يغط الجميع في نوم عميق...يستمر استغفار خديجة وسعيد لله حتى وقت الفجر فيقومان لأداء صلاة الصبح.

شيئان فقط سيجعلانه ينام الليلة وهو متفائل شيئًا ما بالغد؛ الاستغفار حتى آخر الليل وصُورة قائد وسيم يربِتُ على كتف رجل يُقال أنّه وقَع سُوء فَهم بينهما...اعْتِذَار بأَلْف نَخوة وشهامة...سُلوك راقٍ من قائدٍ يشتغل ليلا ونهارا لتطبيق سلوك، "ابْقَ فْدَارَكْ وَاحْمِي عَائلْتك وَبْلادك"؛ بعض اليساريين الحمقى لم يرقهم الأمر؛ فصاروا ينكلون بالقائد، ولو طلب منهم النزول للميدان والتطوع لتوعية الناس بضرورة المكوث في المنزل، لانقبضوا كما تفعل السلحفاة في منازلهم خشية من كوفيد 19؛ لا يتقنون غير النقد لأي شيء وللاشيء.

للأسف نحنُ لاذعونَ في كلّ شيء بَارعون في النّقد، نملك لسانا أحد من السيف وأرق من الشعرة في إيذاء الغير، لا نقدر التضحيات أبدا؛ أمّا العَطاء والبذل فلا وجود لهما في قواميسنا.

لا شك نحتاج لفرمطة تامة لنرقى لإنسان واع ومثقف متكافئ خلوق ومتضامن، إنسان ما بعد الأوبئة...إنسان في الجوهر لا المظهر.

إنّها العُطلة الرّبيعية الّتي انتظَرها سعيد الشرقي كَثيرا، بَعْضُ أقاربه بالمغرب حَجَز وا مُسبقًا "بألميرية" لِيَسْطِعوا على الشّمس الاسبَانيّةِ المَائلة للّون الذّهبي وَيَرقُصَ وا بثمالة الفرحة علَى أنغام سَمفونية الفْلاَمِنكو، مُودّعين مَا عَلِقَ بِرُوحِهِم وأشلائِهِم منْ نُفُورِ الْحَيَاة، والآخرون بِغرناطة لِيَنْغَمِس وَلَوْ مَجَازًا بالعَصر الذهبي للأَندلس، يُراقِبون أُسُودَ الحَمراء وَهِي لازَالتْ تنفثُ مياه القصر كما كانت قبل ستّة قُرون، وآخرون رَاقتهم أجْوَاء

"اســطنبول" فقَرّرُوا ولأوّلِ مَرّة زيارة قِباب العثمانيين ليســتمتعوا بِرُؤيتها عن قرب، وآخرون سَــيَجُرّهم الحَنين للتّجوّل رُفقة خَطيباتهم المُنتشيات بِزَفّة آخِر العُمر بإيطاليا أو هولاندا أو الدانمارك.

العُطلة مُمْتدة ولأوّل مرّة، فُرصــة مُناســبة للسّــفر والتّيه، خمســة عشــر يوما كافية لاســتنشــاق رائحة البادية بالمغرب.

سـيقرر زيارة مسـقط رأسـه بقلعة السـراغنة؛ سـينامُ بالموضـع الذي وضـعته فيه أُمّه ذات ربِيعٍ؛ اشـتاق لغفوةٍ بِهِ، فَمنْ يدرِي قد يكتُبُ الزّمنُ له به زيارة أو لا، لم يعد يستأمنُ أحدًا عَلى خُطَطِه المُستقبليّة؛ مضتْ مدّة من الزّمن لم يعَاود الزيارة؛ أولادُ شـعيب الخَضـراء له فِيها مِن الحنينِ وعِشـقِ الشّـعاب ما لن تسـعه حوافي وأوديةُ سُــلطانة العامِرة؛ نعم سُــلطانة التي رَوَتْ بلا نضــب أهْل العوينة وسَــائر القبائل المُجَاورة للوادِي الأخضــر مذ اسـتقرّت بهذَا المكَان؛ كم حدثته عنها أمه...متذكرة عهدا ليس يشـبهه عهد؛ سَـيسِـيحُ فِيها كَما كانتْ تمرحُ فِيها وهي صَغيرة بِلا انتظاراتٍ ولا مُراقبة، بِلا عِتاب ولا ارْتعاشـة، سَيتيه فِيها كَما تاه فيها أباه شبْرا شبرا منَ الوَادي الأخضر للفَرائِطة ومِنْ أولاد خلّوف لبَني مَقرن والشّعرا.

لن يدعَ أيضًــا قُبّة بُويا عُمر دُون زيارة، له عِنْدَه أمَانة عَظيمة من أُمّه يقبّلُها كلّما قَدِم من إيطاليا رفقة زوجته اليونانية خديجة لرُؤيته وهو يلتحِف بالأبيض والسّكون المَهيب، ينْزعُ مُنعزِلا بعيدًا مُتصوّفًا كمَا كَان يفعلُ بالخلوة المُجاورة للقبّة العَظيمة ويصمت ردْحا من الزّمن ليستغفر لجميع الناس.

يمتثِلُ لِحكمته: "الحِكْمة من الصّمت والسّكون، والاستغفار نجاة من الشرور والآثام"

سَيزُورُ قبّة سيّدي عبد الرحمان أيضًا كَيْ لا يؤنّبَه على نِسْيانه وهو الأولى بالزيارة بالقلعة ويطلع على نَجوى المَيّتين بالحَضــرة حَوله، لن يسْــألهم عن نَجواهم ولا خُصــوماتهم لحاضِــرة مُرّاكش ورِجالاتها...هو مجَرّد زائر مُســتمتع بالآثار القديمة.

سـيزورُ حِصْـن "أهل العوينة" المبني على التلّة الغربيّة بَعيدا عن القبيلة؛ المُهشّـم الحَوافي والمهدّم الأقبية، وبه مَقام جدّه الأوّل، أبْوَابُه الرّصِــينة لازالتْ تحتفظُ برَصَــاصِ الحِماية وانتهاكَاتِ الفَرنســيين...القطّ البري. لُصوص الليل و خيانة غويلة الفتاكة.

إنّهَا العُطلة الرّبيعية كمْ سَـتَكُون أولاد خلوف خَضـراء عَبقة بأشـجَار الزّيتون...كم سَـتَكُون حافلة بحُجّايَاتِ أمّه ورنّات جِمال بني عَامر من قبيلة بني سـليم...حنِينه يشُـدّه شـدّا ليصـل رَحِمه ويسْـتَلقي على طينه الأحْمر القاني، يمرّغُهُ عَلى وجهه وصـدره حتّى يحسّـه، يقطفُ مِنْ ياسـمينه وأقحوانه ويهبُه لأيّ قادم من الصّـهريج والحمادنة أو المْحَرّة باتّجاه أولاد شعيب...

سيأكلُ من خُبز الفُرْن الطيني وتْريد جدّته المَلفوف وفُتَاة الصّينية الطّينيّة...سَيهْمِي على كُسكس المَسجد ويتَبادل التّحايا مع القادمين من دُول بَعيدة لمُصَـافَحة أَرواح نزَعت بنَفْسِـها تحتَ الأرْضِ وغَابَت عن المَشـهد منذ وقت بعيد...سـيقوم الليل كله به ليسـتغفر للميتين والأحياء. ما أبهى الاسـتغفار في جوف الليل، حينها تكون على شـفا خطوة من الاسـتجابة. حينها ينزل ربنا تبارك وتعالى إلى السـماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل ويقول من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له.

هكذا كانتْ سَتكون زِيارته وهو لم يضَع في الحُسبان أيّ جائحة مستقبلية سَتَجْثُو عَلى الأنفاس وتُوقف عَقارب الزّمن بالعالم بأسره، تأسِرُ المتفائلين وتقضِي على الأصِحّاء، فلَم تعُد تُغري لا إيطاليا ولا الصّين ولا حتّى البوادي القريبة بالزّيارة...المَوت ينتَشِرُ بشكلٍ مُهوِل يوما بعد يوم، يحيطُ بكلّ شيء وقريب من كل الرّقاب.

يتابع كل مسـاء أخبار العالم وفي يده تسـبيحة يسـتغفر الله للمرضـى ويناجيه بأن يزيل هذا الكرب عن الكون، إسـبانيا الشـقراءُ تَنْسُـلُ شَـعْرَها علَى غَيْرِ عَادَتِها بِيَدَيْها وَهُما يلتحِفان الأبيضَ، لمْ تَعُدْ تَعْبَأ بجَمالها كَما فِي المَاضي القريب، كخنْسَـاءٍ حديثَةٍ نَائِحَة على أخويْها الذين تاها وما عادا لحِضـنها؛ قد يسـيرُ بها النّوحُ لتُزِيلَ شَـعْرها عَنها وَتأكل الرّماد وتكحل عَينيها بالدّم.

صَيْحَتُها فَجْر اليَوم بِأحْلامه المُضبّبة أَرْعبته، لمْ يسْتَطِع فك شفرة هذا الحُلم.

استيقظ بغثةً وَسط غُبارٍ كَثيف وحَوله قبورٌ عديدة. ما دِلالتها في الواقع؟ لا يدْري.

عواصفٌ رمليةٌ كبيرةٌ لا تهدأ وعَرَقِه يغزُوه مُمدّدا ارتعاشة جِسمه من كُلّ ناحية؛ جِبالٌ من الأوهَام تلتفُّ كأرواحٍ غَريبة قادمَة من كوكبٍ بعيدٍ حول فكره وتُوقفه للحظاتٍ بطريقة عجيبة...أريدُ التفكير...أريد الاسـتيقاظ الآن أريد الاستيقاظ الآن..

كلّما رغب في الجَري إلاّ وأحس بجسم غير مَرئي يشدّه شدّا يمنعه من الحركة؛ خلفه شيء مرعب يقترب من الإمساك به، بلغه أنه من العالم الحتْمي، تماما كعذاب إدكار ألان بو في "The Pit and the Pendulum وفجأة يُنقذه نداءُ خديجة بالواتساب الّذي اشتاق إليهِ أياما أثناء الحجرِ الصّحيّ لتُوقظه بِلُيونةٍ وحنانٍ لصَلاة الفجر، كما تفعل دائما. حتى لا يغفل وقت الاستغفار ويصلي لتزول هذه المحنة.

إيطاليا هي الأُخرى لازالتْ تعزفُ الأُوبيرا الحزينة بصَوتٍ مَبْحُوح، مُقرفصَة منذ عشرين يوما؛ لم تَرفع وجهها الصّافي مُذ أرغمها المُرعب كُورونا عَلى السّجود له...يا إلهي كم يُذَلّ العظماءُ بِحضرةِ هذا المُزعج الحقير ...ألمانيا زادها انتحَارُ وزيرها دُون سَبب يُذكر تشاؤما بعد تفاؤلها في البداية، فغدَت تَحرق وبِلا هَوادة كلّ من انتفى الأمَل مِنه، وفرنسا الحيوية تقتربُ من القيامة؛ 25 وفاة كل ساعة؟

سائحة فرنسية بأكادير تشْكُر المغرب عَلى إبقائها بالمغرب ومدّ يد العونِ لها لتتخلّصَ من كوفيد 19؛ تقولُ أنّها تلقّت مُعامَلة مُذهلة أفضل من مُعاملة الغربيين بأوروبا، شاشاتنا التّلفزية خلتْ منَ المُتعة والفَرح. مُشاهدة مباريات كرة القدم وترقّب جديد السّينما، حتّى الأفلام التّركيّة والأكشن غدت باردة؛ كل شيء متوقّف الآنَ ومَحجوز بمنزله.

لا يستطع سعيد الشرقي إخفاء حبه لإسبانيا كلما تحدث لخديجة عنها، إنه حب متجذر في نفسه منْذُ زمن طويل، ولو لمْ تصله بها أيّة وشِيجة؛ طبيعتها المُذْهِلة أغْرته ما من مرة بالزيارة؛ إنّها ملاذُ الشّعراء والأدباء قبله؛ ببساطة لأَنّها تأوي جُزءا منه ومن التّاريخ؛ نعم إسبانيا التي آوت أجدادنا ثمانية قرون ويزيد وشيدنا بها قصورا وحصونا عديدة وما هدمتها بعد الحرب.

إسبانيا التي عشق رغم التّعميد القسري وحيف فيرناندو الثاني وإيزابيلا الأولى.

هذا ليس وقت ذِكر المساوئ التاريخية؛ كبعضِ الشّامتين جهلا في الغرب لا لشيء سوى أنّهم مُختلفون عنّا في الهوية العربية الإسلامية! وماذا سيضيفُ هذا الحنَق للغير من ميزةٍ لنا؟

هذا وقتُ الإنسانِ كإنسانٍ وليسَ بما يحملهُ من أقنعةٍ مُختلفة...إيماني بالله العلي القدير سَيجعلني أخشَى على الآخرين من التّيه لاشك، وأطلب لهم كما لي النّجاة وأستغفر لهم...أضف لذلك أن أجهزة التنفس هي

الأخرى سـنقتنيها من ذاك الآخر المختلف عنا تماما في الهوية فماذا صـنعنا نحن لنكره الآخرين؟ هكذا كان يفكر سعيد الشرقي.

لقد أقْعَد هذا الضّيفُ المُحتال إسبانيا وأخذَ ينزعُ مِنْها خِصْلاتِها الشّقراء خصلة خصلة، كما نَزَع الجَمال عن فَتياتنا اللّواتي صِـرن يَخْجَلن الجُلوس أمَام المِرآةِ بلمّة العائلة لأوّلِ مرة، ولأنهنّ بعيدات عن مُواجهة الرّجال، ماذا لو أدركن أنهن جميلات دونَ مسـاحيق؟ لن يقتنعن أكيد، لأنّ الموضـة اسـتعبدتهنّ من حيثُ لا يدرين، إنّه ضِدّ أيّ شيء جميلٍ فينا ...لن ينْشُرَ سوى الظلام والقبح والمزيد من الموتى، لهذا نحن في أمس الحاجة للاستغفار ومناجاة الله تعالى حتى يرفع عنا هذا البلاء.

أنينُ مَدريد يُفزعه من الدّاخل كما فعلت رُوما قبْلَ أن تُصْبِح رَمادا على وشك الانبثاق...ألهذا الحَد؟

هل كان في حسـباننا أننا قد نصـبح ذات يوم شـيئا مضـرا للطبيعة والحياة؟ يتسـاءل سـعيد منذهلا مما يرى من أخبار حزينة على التلفاز حول مستجدات كورونا.

ها نحنُ إذا وصَلنا لهذا الأمر...الأرقامُ لازالتْ في ازدياد مهول.

قبل أيّام أصـيب صـديقه الشـاعر خالد السـوري بديار الغُربة والآنَ هو داخلَ الحجر الصـحي، أما بعضُ أصـدقائه المغاربة فقدْ سـارعوا لكتابة تأبين حول أنفسـهم وأعذار يسـتسـمحون فيها ماضـيهم عن أخطائهم ويطلبون من متابعيهم الدعاء لهم إن هم غابوا عن السـاحة الافتراضـية بسـبب كورونا الذي بدأ يرخي بظلاله على الجميع كواقع لا مهرب ولا مفر منه. للحظة أرهبه الفايسـبوك، فقد أصـبح مقبرة حقيقية ولا حديث إلاّ عنِ الأمواتِ والإصابات.

منذُ سبعة أيّام لَمْ يرَ سعيد الشرقي نُور الشّمس ولا عرف لوْنَ السّماء كيْفَ غدا، ليسَ لِكُرهِه لهُما أبدًا، فهو مِن أشـدّ المُعجبين بهما وبِمَعانيهما الفَيّاضـة بالحِكمة والعطاء، وقبل ذلك بأُسْـبُوعين ويزيد لَم يُقابل وجهه بَشـرا غيْر زوجته خديجة هيباتيا المفعمة بالحيوية والنشـاط؛ وَجهها المُنير يُقاوم بَهاء وَجه وبهاء الشّـمس هذه الأيّام.

أما هو فقد أغلق محل تجارته الخاص ببيع الملابس الموجود أســفل العمارة التي يقطنها، خوفا من انتقال عدوى كورونا إليه من زبون ما.

يراقبُ انفعال أَصـدقائه على السّـاحة الافتراضـية وهو مسـتلقٍ على أريكته يسـبح الله تعالى ويسـتمر في الاسـتغفار، فيضحكُ لضحكهم ويحزنُ لحُزنهم ويشـفِقُ أحَايين أخرى. بريقُ الأمَل لا يكادُ يَنطفئ أبَدا من حياتهم وهذا هو الأجمل في هذه الآونة...الأمل والحلم والاستغفار.

الأخبار دوامة من اليأس والنفاق العصري الحديث، المزيد من جُرعات الأمل والاسـتغفار سيمدد من أمد الحياة، أعيادنا اقتربت، أمهاتنا ملتْ واشـمأزت من هذا الوضـع ولا يمكننا أن نبقى هكذا...إلغاءُ الحج والبطولات والاختبارات الجماعية وساحات الجامعات لن يثني عزمنا على الحلم وتبديد الخوف المصطنع.

اليوم قبل أن ينام سيطلع على أهم الآراء بنشـراتنا الإعلامية، لابدّ له من انتقاء ما يغريه بالتأكد من عدم جدوى اعتباطية متابعة ما يحدث حتى يرتاح على الأقل.

"سـتاد ريمس" الطبيب الفرنسـي الطيب يسـتجيبُ بروحٍ حَزينة يلُفّها سُـكونٌ مَهيب لنداء العَزْفِ الأخير؛ النّوارس الّتي سـكنَتْ قمّة بُورج إيفل بباريس الكبيرة توشّـحَت بالأسْـود لَيلة ارتِمَائِه عَلَى الأَرض جُثّة هَامدة، ظَلّت تَشْـدُو لَحن المَوْتِ حَتّى آخِر صـبَاحٍ مِن تمدّده خَارج فَضـاءاتها الفَسـيحة؛ لم يكُن يظُن أنّه هُو الآخَر سَـيَخْتَار اللّحاق بدانيلا تيريتزي المُسَافرة على مَتْنِ الخَيْبَة مِن إيطاليا قَبل أيّام قلائل فقط .

كم تسـاءل هَل وصـلتْ فِعْلا أم تعثّرت في مُنتصـف الحَيرة كَما كانتْ تقرأ عنها في الأدَب الرّوسـي...كم حَزن لأجْلها وَمُفارقتها لأهْلِ الأرْض بهذه الطّريقة. سيستغفر الله لها ولتسرعها في اتخاذ هذا القرار.

سـتاد ريمس لمْ يتحدّث عَنه أحدٌ رغم اشـتغالهِ الدّؤوب بمُسـتشـفيات فرنسـا سِـنون عَديدة، كأنّ خَبره غير مُجد ولن يُضيف لمآسينا شيئا يُذكر.

فرنسـا التي غَدَت تفْقِد كلّ يوم المئات جَعلت "سـتاد ريمس" يُنهي تَواجُده الضّـئيل بزمن 2020 حَزينا على انْقِباض الحياة بِبلَد الأنوار ليَلحق بِرُوح دانيلا، بعد تمكّن الخبِيث كوفيد 19 من رئتيه، عَسَـاهُ يَجِدهَا هُناك وقد تخلّصتْ رئتاها اللّتان ما نفثَتا حتّى الدخان ولو لمرةٍ واحدة من كورونا.

كوفيد 19 بات يفرِضُ نفسَــه الآنَ بقوة، أكْثر من أي زَمن آخر؛ لا بل يســتصــرخُ الرّعب في أعماقِ كلّ المُخادعين أنفُسهم والمتظاهرين بالأمَل والحلم ومنهم سعيد وزوجته خديجة طبعا .

كأنّ الصّــين انتقمتْ من بُعد العالم عنها، كأَنّها تُعاتب الجميع على عَدم معرفتها أو التوَغّل في حَضــارتها أكثر وأكثر...لهذا أرســلتْ للجميع جيشــا لا قِبل لهم بمُواجهتِهِ، وليعرفوا حق المعرفة من تكون ومن أيّ ضِــرع رضَعت.

مرتْ أيّام طويلة صــامتة وســعيد لازال يجْثُو علَى صَــمْتِه، يبَعْثِرُ ضَـجِيجَ الكَلِمَاتِ ببعض الإطْلَالاتِ عَلى الزّمن الجَمِيل، الإحْسَـاس الجَميل الصّـادق لا يأسِـرُه فقط بل يُكَبّل رُوحه فيرغمه على الإنصـات له؛ يكَسّـر كُلّ نَجْوى بَيْنه وبَيْن نَفْسِــه، يخَاصِــمُ المَاضِـي الّذِي لَمْ يكُنْه وَيخْنُقُ المُسْــتَقبل النّابع من ظِلّه بأحْلامِه الهَاربة، يبدّدُ نَبَضَات أوهامه بأمواج من العبث واللامبالاة، يعيّرُ تَدَفُّقَ حنِينه للأَشياء الجميلة ويرفضُها، يحاولُ إزَالَة الضّبَاب عنْ رُؤْيَته العلِيلة. ولا ينسى في خضم ذلك كله الاستغفار الذي يهدئ من روعه.

رؤيته أَضْــحَت عَليلة عن مُشَــاهدة جُثث المَوتى المُكدّسَــة في الطُّرُقات كّل يوْم، يكلّل لَيله الطّويل الّذي اسـتفَاق ليسَـامِرَه للتّوّ بالبُكَاءِ المكتظ بالسّـكُون وبالمُوسـيقى المَنْسُـوجة من عَذابات أمّنا الأرْض السّـاخطة علينا آخِر الدّهر، وحمل أكفه للسـماء لمناجاة العلي القدير علّه يسـتخرِج من بوْثَقتِها الحَزينة عِطْرها المَدْفُون بعدَ هَذا الطّارئ الصّينِي المُستجد..

يعرفُ أنّ هُنَاك مَن ينْتَظر دعواته وصلواته، استغفاره الصادق.

الناسُ جرحى وَمكلومون لكنّهم لا يفْصِحُون؛ تناثُرُ الضّحكات هُنا وهُناك يُخفي أمْرا جَللا، يدسُّ فِي بَراثنه حُرّيّة طَائر الفينيق، شَـذو البُلبل الأرْجواني يتيما، سـحر أفروديت ليسـت كما هيَ وتخَلّي الأهل عن زرقاء اليمامة بعدما أهْدَت عيْناها لهم...

الحياةُ صَارت غابة كثيفة الموت بلا ترياق للعيش والاستمرار، لا أبواب لها.

كأنّ الطّبيعة أيضًــا تآمَرتْ عَلينا بعد جُرمنا بحقّها ليضــيقَ ثُقب الأوزون أَيّاما فقطْ بعد حَجْرِنا على التفسّــح والسّيّاحة في أرجائها الفَسِيحة وقطع أشجارها ووأد نباتاتها وهي حية ترزق...

أمّي الأرض تُحْتَضــر ونحْنُ لا ندري، إنّها في لَحَظاتها الأخِيرة، نعمْ هيَ الآن بينَ السّــماء وَقرن الثّور...كامرَأة تضــعُ مَوْلودَها للمرّة الأولى، صياحها غير المرئي لا يُقاسُ بأيّ ألم...تتمزّق رُويدا رويدا لتُنجِبَ ابنتها المَوؤُودة "الحياة..." لكنّها في هذه اللحظات لنْ تنجبَ يائسةً على غير عادتها سوى ابنها العاق "الظلام."

خرج في الصباح لاقتناءِ كمامة وشُكولاطة تُوقف النّزيف الحاد في الإرهاق الّذي يتعرّضُ له جرّاء التّفكير والسهر الطويل...لا الغرب يسرّ ولا الشّرق، فيستغرب أشدّ الاستغراب! الكمامات متوفرة في المتاجر وبثمنٍ بخسٍ لكنّ البعض يمتعضُ منها...أيْ أنّه لم يقتنع بوضعها بعد...لم يقتنع بالوباء أصلا...

الوعيُ الّذِي أغْفَلنا عنْ تكْريسه في النّاس باللّين حان الوقت لفرضه بالقوة...لهذا لا يسْتهجن أبدا قرارات الحكومة ببلده الأم المغرب المتمثلة في الغرامات والعقوبات حول وضع الكمامات أو النفور من الحجر الصحي؛ لو كان الشــعب جله واعيا لما لجأت الحكومة للعقوبات ويســتثني هنا طبعا الذين يعون خطورة الوضــع دون انتظار قرارات الحكومة.

كورونا كانَ لابُدّ له من زيارتنا ليس لأخذ أرواحنا معه، بل ليعلمنا الوعي المنســي ولكبح جماح فورانتا المتعالي كثيرا...كورونا أتى ليضعَ حَدّا لاستكبارنا ويذكرنا بحقارتنا في عالم لامنتهي من المجرّات والمسافات...

بدايةُ هذا الأسبوع كانتْ مُدمرة وقاسية على الاستيعاب؛ الانهزامُ النّفْسيُّ بدأ يقضّ مضجع العديد من الطّامحين والطّامِحاتِ ببريق أمل؛ جلّ من صاروا حدثا ماضيا في رمشة عين أطباءُ، أبطالُ الأمل المرجو...

ثَلاثةُ أطباء يا إلهي في يَوم واحدٍ بالمغرب يصْــمتون عن الكلام والنّجوى للأبد، بعدما خنقهم اللعين كورونا، كأَنّه شــيطانٌ في هَيئة فيروس، لماذا يا تُرى اختار الأطباء؟ أتكونُ حيله تجاوزت المعقول، فبدأ بالدواء ليبدّدِه قبل أن يتحَوّل لداءٍ مُستفحل.

اليوم يبدأ المغرب مَرحلة أخرى وسط شده العديد من أصدقائه، الآنَ وبعدما تجاوز المغرب الألف سيرغم الناس على تكْميم أفواهِهم بِمحضِ إرادَتِهم.

شعره بَدأ يكبُر وأسئلة غزيرة به بدأتْ تفرّ في كلّ الاتجاهات، تنتابه حكّةٌ لَذيذة عبر شِعابِه، لا يدري ماذا سيفعل هل يتركه يطولُ كما كان يفعلُ أيّام الثانوية، الأيّام الجميلة التي لن ينســاها أمْ يزيله عَن بكْرة أبيه ويعلِنُ الحِداد كَما فعل جُلّ أصدقائه والرّجال بصفة عامة عبر العالم.

ليس لديه وقت ليقَرّر الآن، ســيتركُه ينسَــدِلُ عَلى كَتفه قَليلا ثم يقرّر ما العمل، يعلم أن خديجة تحبه بجميع أشكاله وقراراته كما يحبها هو أيضا بجنون ويقدر صنيعها وتضحيتها في هذه الفترة الحساسة، سيستغفر الله لها أيضــا بأن يحفظها من كل ســوء، فالاســتغفار أبهى فِعل يرتاح له خاطره ويجعله ينام هنيء البال، سيستغفر الله أن يحققا حلمهما، الأمل الأخير الذي طال انتظاره سنون عديدة. بيتهما فارغ من الضجيج إلا منهما معا فقط، كم تمنى لو يرزقهما الله صبية وديعة وطال أمد الانتظار. سيسميها استغفار حتى تذكره كلما نسي أو تهاون بالاستغفار.

عمر لوريكي

شاعر وكاتب وإعلامي

facebook.com/omar.laouriki1

⚜ صدر له
- كتاب "حجايات أمي"؛ مجموعة قصصية شعبية. عن دار أوراق بمصر، مارس 2016
- ديوان غرابة؟ عن دار أوراق بمصر. مارس 2016*

⚜ أعد
- الموسوعة الشعرية العربية المعاصرة، ج1 صدرت عن مطبعة الاقتصاد. ماي 2019
- نقوش من وحي الأدب. عن مطبعة الاقتصاد ماي 2019
- حلم وقلم. كتاب قصصي عن دار تيسراس

⚜ حائز على جائزة دار زين، فئة القصة القصيرة سنة 2017
- أجيزت مجموعته القصصية "حجايات أمي" بملتقى الكويت 2017
- تأهلت قصته ضمن كتارا الاستغفار 2020
- مدير الملتقى الأدبي العربي بأيت اعميرة وليلة بهاء الشعر 2019

⚜ له قيد الطبع
- ديوان ماذا أرى في البعد؟
- .كتاب رحلتي إلى إسكندنافيا، الجزء الأول
- نوادر عمر
- تم تكريمه بمملكة السويد من طرف مكتبة لوند المركزية؛ نونبر 2019
- نشر بعدة جرائد عربية ووطنية منذ 2009

تدور أحداث القصة حول ممرضة إيطالية اسمها ماريا تيريزا، تشتغل برفقة صديقتها خديجة هيباتيا المسلمة اليونانية الأصل المتزوجة من رجل مغربي، سنوات عديدة، تحتسيان القهوة معا وتسعفان المرضى معا
حينما اجتاح كوفيد19 إيطاليا لم تتمالك ماريا تيريزا التي تعشق بلاد ليوناردو دافنشي من عمق روحها، نفسها فقررت الانذثار على مقصلة الأسئلة المحيرة، رحيلها بتلك الطريقة أثر بشكل كبير في حياة خديجة هيباتيا التي أحبتها كثيرا، حاولت بكل ما أوتيت من قوة وعزم شديدين احتواء أزمتها النفسية والاستغفار لزميلتها الراحلة
لم تستطع الاستمرار في العمل كممرضة، لأن أي مكان هناك يذكرها بابتسامات وضحكات صديقتها التي على لادينيتها تحترم مشاعر المسلمين ومعتقداتهم بإيطاليا؛ بل تدافع عنهم أحيانا
خديجة هيباتيا عانت طيلة حياتها من العقم، لكن في النهاية سيتحقق حلم زوجها المغربي وهي على حين غرة من اليأس

ISBN
9 78 9920 622509

dépôt légal: 2020MO3251

المطبعة
Agadir Services
الهاتف/الفاكس:0528237036. أكادير